

استقبال رمضان

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عباد الله - حَقَّ التَّقْوَى، فَالتَّقْوَى زاد لدار القرار، وعون على شكر نعم الباري الغزار.

أيها المسلمون:

اختار الله من الأزمان مواسم للطاعات، واصطفى فيها أياماً وليالي وساعات، فضلاً منه وإحساناً، وكلَّمنا لاح هلال رمضان أعاد إلى المسلمين أيام دهرهم المباركات وما يكون فيها من النفحات، شهر ينطلق فيه الصائمون إلى آفاق النقاء، ويمسحون فيه عن جبينهم وعشاء الحياة، يستقبله المسلمون وله في نفوس الصالحين منهم بهجة، وفي قلوب المتعبدين فرحة، فُرْب ساعة قبول فيه أدركت عبداً فبلغ بها درجات الرضا والرضوان، الصيام سرٌّ بين الخالق والمخلوق، يفعل خالصاً ويتلذذ العبد جائعاً ويتضور خالياً، يقول النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» (متفق عليه)، يحقق العبد فيه درس الإخلاص لينطلق به إلى سائر العبادات بعيداً عن الرياء، الصيام يصلح

النفوس ويدفع إلى اكتساب المحامد والبعد عن المفساد، به تغفر الذنوب وتكفر السيئات وتزداد الحسنات، يقول النبي ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» (متفق عليه). شهر الطاعة والقربة والبر والإحسان، والمغفرة والرحمة والرضوان، يقول النبي ﷺ: «إذا دخل رمضان فُتحت أبواب السماء، وعُلقت أبواب جهنم، وسُلست الشياطين» (متفق عليه)، لياليه مباركة، وفيه ليلة مضاعفة هي أم الليالي، ليلة القدر والشرف خير من ألف شهر، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، فيه صبرٌ على حمأة الظمأ ومرارة الجوع، ومجاهدة النفس في زجر الهوى، جزاؤهم باب من أبواب الجنة لا يدخله غيرهم، فيه تذكير بحال الأكباد الجائعة من المساكين والمُفترين، يستوي فيه المعدم والموسر، كلهم صائم لربّه مستغفر لذنبه، يمسكون عن الطعام في زمن واحد، ويفطرون في وقت واحد، يتساوون طيلة نهارهم بالجوع والظمأ، ليتحقق قول الله في الجميع: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

أيها المسلمون:

ذُكر النَّاس داء وذكر الله شفاء، والقرآن العظيم أساس الدين، وآية الرسالة، وروح الحياة، نزل في سيد الشهور ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ونزوله فيه إيماء لهذه الأمة بالإكثار من تلاوته وتدبره، وكان جبريل عليه السلام ينزل من السماء ويُدارس فيه نبينا محمداً ﷺ كامل القرآن، وفي العام الذي تُوفي فيه عرّضه عليه مرتين، وكان بعض السلف يختم في رمضان في كل ثلاث ليالي، وبعضهم في سبع، وبعضهم في عشر، وكان الإمام مالك إذا دخل رمضان أقبل على تلاوة القرآن، وترك الحديث وأهله، وإذا أحسنت القول فأحسن الفعل، ليجتمع معك مزية اللسان وثمره الإحسان، ودائرة الجود تتسع لما تهفو إليه القلوب المؤمنة من التطوع في الخير، والتوسع في إسداء المعروف، والمال لا يذهب

بالجود والصدقة، بل هو قرضٌ حسنٌ مضمونٌ عند الكريم ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سَبَأًا: ٣٩]، يضاعفه في الدنيا بركة وسعادة، ويجازيه في الآخرة نعيماً مقيماً، يقول النبي ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» (متفق عليه)، فتحسّس دور الفقراء والمساكين، ومساكن الأرامل والأيتام ففي ذلك تفريج كربة لك، ودفع بلاء عنك، وإشباع جائع، وفرحة لصغير، وإعفافٍ لأسرة، وإغناء عن السؤال. ولقد كان رسول الله ﷺ أكرم الناس وأجودهم إن أنفق أجزل، وإن منح أغدق، وإن أعطى أعطى عطاء من لا يخشى الفاقة، وكان يستقبل رمضان بفيض من الجود، ويكون أجود بالخير من الريح المرسلة، فأكثر من البذل والإنفاق في ليليه المعدودة، والمال لا يبقيه حرص وشح ولا يذهب به بذل وإنفاق.

وليالي رمضان تاج ليلي العام، ودجاها ثمينة بظلمائها، فيها تصفو الأوقات وتحلو المناجاة، يقول النبي ﷺ: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» (رواه مسلم)، «ومن قام مع الإمام حتى ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة» (رواه الترمذي)، ومن لم يُصبرْ نفسه على طاعة ربّه ويوطنها على محبته، ابتلي بتصبرها على المعاصي وذلها، وإن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل، وفي كل ليلة يُفْتَحُ باب الإجابة من السماء، وخزائن الوهاب ملأى، فسل من جود الكريم، واطلب رحمة الرّحيم، فهذا شهر العطايا والتّفحات، والمن والهبات، وأعجز النَّاس من عجز عن الدُّعاء.

أيها المسلمون:

الأيام صحائف الأعمار، والسّعيد من يخلدها بأحسن الأعمال، ومن نقله الله من ذلّ المعاصي إلى عزّ الطاعة، أغناه بلا مال وآنسه بلا أنس، وراحة النَّفس في قلة الأثام، ومن عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه، وفي هذا الشهر المبارك - المُنزَل فيه القرآن العظيم المتعددة فيه طلب

أنواع المغفرة من التوسع في المعروف، والبذل والدعاء، وتفريج الكربات والإكثار من العبادات - إلا أنه لكل موسم خاسر، وبعض النَّاس أرخص ليليه العُرَّ وأرهق فيها بصره مع الفضائيات يعيش معها في أوهاام، ويُسرِّح فكره حولها في خيال، ويتطلع لها لعل له فيها سعادة السراب، فإذا انقضى شهر الصيام لا لما فيه جمع ولا للآخرة ارتفع، ربح النَّاس وهو الخاسر.

والنِّساء حبائل الشَّيطان، وهُنَّ أكثر حطب جهنم، ولنجاة نفسها من الحميم واجب عليها مضاعفة الأعمال الصَّالحة مما ينجيها من النَّيران، فليتَّقين الله في حُرمة هذا الشهر المبارك، ولا تخرج من بيتها إلا لضرورة، وصلاة التَّراويح في بيتها أفضل من أدائها في الحرمين، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهنَّ خيرَ لهنَّ» (رواه أبو داود)، وإذا خرجت لحاجة، فحرام عليها الخروج متبرجة أو متنقبة، وعليها بالستر والحياء ومراقبة ربها في غيبة وليها وشهوده، والصَّالحة منهنَّ موعودة برضا ربِّ العالمين عنها، وتمسُّكها بدينها واعتزازها بحجابها وسترُّها يُعلي شأنها ويُعزِّز مكانها، وهي فخر المجتمع، وتاج العفاف، وجوهرة الحياة، وقدوة النِّساء.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد: أيها المسلمون:

دواء القلوب في خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبُّر، وخلو البطن، وقيام الليل، والتَّضَرُّع عند السَّحَر، ومجالسة الصَّالِحِينَ. فَلْيَكُنْ لكَ - أَيُّهَا المسلم - في شهر رمضان عمل وتهجُّد وقرآن، واغْتَنِمْ عمرةً في رمضان فإنها تعدل حجة، ولقد كان من هديه عليه الصَّلَاة والسَّلَام الاعتكاف في رمضان، وهو: لزومُ مسجدِ طاعةِ الله، وهو يعني عكوف القلب على الله، والانقطاع عن الخلق، والاشتغال بالعبادة والذِّكْرِ وقراءة القرآن.

وابتعد عن خوارق الصَّوْمِ ومفسداته، وإياك أن تقع في أعراض المسلمين، واحفظ لسانك وسمعك وبصرك عمَّا حرَّم الله، يقول الإمام أحمد - رحمه الله -: «ينبغي للصَّائم أن يتعاهد صومه من لسانه ولا يماري، كانوا إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحداً»، ومن بُلي بجاهل فلا يقابله بمثل سوءه، يقول المصطفى ﷺ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: إني صائم» (رواه البخاري).

واجعل شهر صومك جهاداً متواصلاً ضدَّ شهوات النَّفْسِ، وانقطاعاً

إلى الله بالعبادة والطاعة، ومدارسةً لآيات التنزيل، وقياماً مخلصاً بالليل، فهو موسم التَّوْبَةِ والإنابة، فبابُ التَّوْبَةِ مفتوح، وعطاء ربِّك ممنوح، فمتى يتوب من أسرف في الخطايا، وأكثر من المعاصي، إن لم يُتَّب في شهر رمضان؟! ومتى يعود إن لم يعد في شهر الرحمة والغفران؟! فبادر بالعودة إلى الله واطرق بابه وأكثر من استغفاره.

فأتَّقوا الله - عباد الله - واغتنموا زمن الأرباح، فأيام المواسم معدودة، وأوقات الفضائل مشهودة، وفي رمضان كنوزٌ غالية، فلا تضيعوها باللغو واللعب وما لا فائدة فيه فإنكم لا تدرون متى ترجعون إلى الله، وهل تدركون رمضان آخر أو لا تدركونه، وإنَّ اللبيب العاقل من نظر في حاله، وفكَّر في عيوبه، وأصلح نفسه قبل أن يفاجأ الموت؛ فينقطع عمله وينتقل إلى دار البرزخ ثم إلى دار الحساب.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلَاة والسَّلَام على البشير النَّذِير والسَّرَاج المنير... .